المنهج الإسلامي لتفسير التاريخ

أ. د. مصطفى فرحان عوض
الجامعة العراقية - كلية العلوم الإسلامية

mustafaawadh9@gmail. com

ملخص البحث

إنَّ دراسة التفسير الإسلامي للتأريخ توضح المنهج الإسلامي الصحيح لكتابة التاريخ، وتبين رؤية الإسلام السديدة في توضيح الحقائق التأريخية، ومنها، أن تدوين أخبار التأريخ الإسلامي وروايتها قد شارك فيها الصحابة الكرام والإخباريين ورواة الحديث، وكذلك كان لدور الأنبياء (عليهم السلام) والوحي الأثر في كتابة هذا التأريخ المشرق لأمتنا.

إن دعوى المستشرقين بعدم حقيقة كثير من الحقائق التأريخية أنكرها الإسلام من خلال حقائق منذ زمن نزول الوحي إلى يوم القيامة، فالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وآثار الصحابة والتابعين حقائق، لا يمكن تجاهلها في معرفة تأريخنا المشرق، في جميع الأزمنة والأمكنة.

إن الضوابط التي حددها الإسلام في التعامل مع الأحداث التأريخية كالأخذ من كتب غير المسلمين، والالتزام بالعقيدة الإسلامية تجعلنا نفهم التأريخ بالحقائق الناصعة بعيداً عن أفكار أهل الهوى والعقائد الضالة، وتؤكد: أن تأريخنا من رسول الله منبعه وفي غيره لا عز ولا شأن.

***

Summary:

The study of the Islamic interpretation of history clarifies the correct Islamic approach to writing history, and shows Islam's right vision in clarifying historical facts, including, that the recording of the events of Islamic history and its narration was attended by the honorable companions and narrators of history and hadith, as well as the role of the prophets (peace be upon them) and the impact of revelation in writing This is the bright history of our nation.

The orientalists' claim that many historical facts are not true has been denied by Islam through facts since the time of revelation until the Day of Resurrection. The noble Qur'anic verses and the Prophetic hadiths and the effects of the companions and followers are facts that cannot be ignored in the knowledge of our bright history, in all times and places.

The controls set by Islam in dealing with historical events, such as taking from the books of non-Muslims, and adhering to the Islamic faith, make us understand history with clear facts away from the ideas of the people of whims and deviant beliefs, and confirm that our history is from the messenger of Allah, and in others there is no glory or matter.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى آله وأصحابه ومن ولاه وسلم .

وبعد؛ فان تطبيق المنهج العلمي الإسلامي لدراسة التاريخ يعدو وقفة مصالحة مع التاريخ، وقد استخدمت كلمة مصالحة لما وجدت من فارق كبير في طريقة فهمنا وأسلوب دراستنا لوقائع وأحداث التاريخ، وبين المنهج العلمي الذي خطه لنا علماء التاريخ الإسلامي، والذي ينبغي أن تدرس مادة التاريخ الإسلامي في ضوئه. حيث أن هناك فارق كبير بين دورنا الحالي تجاه هذا التاريخ، وبين ما يجب علينا نحوه بالفعل، فالعلوم التاريخية ينبغي ان يعاد تسطيرها بحيث توضح أهداف الأمة الإسلامية التي حددها القرآن والسنة النبوية كرسالة حياة، وأداء وأمانة أرادها الله - تبارك وتعالى - لهذه الأمة وان كان ضمير العالم الإسلامي ينبغي ان يستفيق ويصحو في مختلف النواحي، ومن أهمها صرخات لابد ان تنبعث من أعماق التاريخ. نوقظ بها ذلك الضمير. لكن هذه الصرخات إن لم نثق أنها كانت صيحات حق ونور من أئمة وأعلام هدى، فلا خير فينا ولا فيما ندعو من اجله. ولن يحدث ذلك إلا بمراجعات في قراءة التاريخ وفي الأسس العلمية التي يجب إتباعها لدراسته، يقوم على أثرها تصالح بين جيلنا المهذب بتزوير تاريخه، والمخدر بفقد هويته، وبين أسس وقواعد جهلها هذا الجيل في صياغة ومعرفة تاريخه، ويحدث نتيجة ذلك التصالح انسجام وتوافق بين الواقع المعاش وبين الماضي العزيز. حتى نستطيع من خلاله صياغة مستقبل أفضل .

فالفصل بين الدراسات الشرعية والدراسات التاريخية المعاصرة أدى إلى ان تقوم هذه الدراسات على الأسس الذي وضعته المدرسة الاستشراقية، فنشأ جيل من خريجي الجامعة لا يشعرون بأي صلة تربط هذا التاريخ بدراسة الشريعة وأحكام الإسلام .

وما يحدث لنا من تشويه متعمد قد يجعل المرء يفسر بيسر وسهولة ما يحدث لنا من انهيار كينوني للأمة، وتصدع بنائها الذاتي والحضاري وإجحاف في الاعتراف أو الاعتزاز بهويتنا، والذي يعجز المرء عن تفسيره من دون ان يقرأ عن منهجية دراسة التاريخ الإسلامي، ولهذا سأتناول في البحث المتواضع ((المنهج الإسلامي لتفسير التاريخ)) والذي يتضمن المقدمة ومبحثين :

المبحث الأول: مفاهيم أساسية للمنهج التاريخي ويتضمن :

١ - تعريفات المنهج التاريخي .

١ - خصائص المنهج التاريخي .

١ - أهمية المنهج التاريخي .

والمبحث الثاني: التفسير الإسلامي للتاريخ ويتضمن :

١ - مسوغات اسلمة التاريخ .

٢ - المرتكزات الفكرية لأسلمة التاريخ .

٣- خصائص المنهج الإسلامي .

وتأتي الخاتمة مع أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث، ومن ثم أهم المصادر والمراجع.

***

المبحث الأول

مفاهيم أساسية للمنهج التاريخي

١- تعريفات المنهج التاريخي :

ولان الحاضر هو جزء من التاريخ أي من العملية التاريخية في حركتها الدائمة فهذا المنهج ينشغل بدراسة قضايا المجتمع في الحاضر مبتدئاً بمعرفة الواقع الاجتماعي لغرض تقيمه، ومنشغلاً بالتعرف على تاريخ العملية الاجتماعية أي تاريخ المجتمع، كما إننا نجد العديد من المسميات الخاصة بالمنهج التاريخي في مؤلفات العلوم الاجتماعية كالآتي :

أ- المنهج التاريخي .

ب- الأسلوب التاريخي .

ج- مدخل التاريخ .

د- التحليل التاريخي[١] .

ولقد عرف المنهج التحليلي عدة تعاريف عامة وخاصة، منها التعريف العام الذي يقرر صاحبه انه ((الطريقة التاريخية التي تعمل على تحليل وتفسير الحوادث التاريخية كأساس لفهم المشاكل المعاصرة، والتنبؤ بما سيكون عليه المستقبل))[٢] .

---

(١) سامية محمد جابر: منهجيات البحث الاجتماعي والاعلامي، القاهرة، دار المعرفة ٢٠٠٠، ص٢٤٥ - ٢٦٠ .

(٢) محمد جلاء ادريس: مناهج البحث العلمي نظرياً وتطبيقياً: الجامعة الاسلامية العالمية ١٩٩٨، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

كما عرف المنهج التاريخي أيضا أنه :

(أداة البحث في المشكلات أو الظواهر الاجتماعية في بعدها التاريخي أو هو سياق الوقائع والأحداث (وحق الماضي) ووصف الظاهرة الاجتماعية وتسجيلها كما حدث في الماضي)[١] .

وعرف المنهج التاريخي بأنه منهج استردادي .

ويعتمد هذا المنهج على استرداد التاريخ أو الماضي واكتشاف حلول للمشاكل الجارية على ضوء ما تم في الماضي، ويعتمد كثيراً على جميع المعلومات التاريخية ونقدها وتحليلها[٢] .

يعتبر هذا التعريف خاص بدارسي التاريخ وغيره من الأقسام الأخرى، وهذا النوع من البحث (البحث التاريخي) يعتمد في الأساس على مصادر كتبت من قبل، وذلك لان وقائع دراسته عن وقائع حدثت في الماضي وبالتالي يصعب علينا اختيارها في الوقت الحاضر .

وفي اللغة قبل التاريخ كلمة مشتقة من الفعل أرخ يؤرخ تاريخاً. بمعنى تعريف الوقت والتاريخ مثله، وأرخ الكتاب أو ورخه بمعنى وقته، والتاريخ والتأريخ والتواريخ تعني الإعلام بالوقت، وقد دل تأريخ الشيء على نهايته ووقته الذي ينتهي زمنه ويلتحق به. وما يتفق من الحوادث والوقائع الحالية، وهو فن يبحث عن وقائع الزمان من ناحية التعيين والتوقيت وموضوعة الإنسان والزمان ومسائلة أحواله المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة للإنسان في الزمان[٣].

كما يعرف المنهج التاريخي في علم المكتبات :

بأنه منهج علمي لأنه يتبع خطوات المنهج العلمي في تحديد المشكلة وتجميع المعلومات الأساسية عنها ثم صياغة الفروض كلما أمكن ثم تجميع الأداة التي تختبر بها الفروض... [٤] .

فالمنهج التاريخي هو الأسلوب والطريق المؤدي لمعرفة الحقائق أو الغرض المطلوب، كذلك تطلق عليه الوسيلة المؤدية إلى اكتشاف الحقائق والمعرفة العلمية[٥] .

***

(١) لمحمد عبد الحميد: البحث العلمي في الدراسات الاعلامية، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٠، ص ٢٦٢ .

(٢) ابو الفتوح علي فضالة، المحاسبة، القاهرة، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢، ص ٢٠ .

(٣) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم بن ةمنظور الافر يقي المصري (ت ٧٤٤ هـ)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير واخرون، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥، ٣ / ٤ (مادة ارخ) .

(٤) حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٣ .

(٥) حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ص ٥ .

أما تعريف التاريخ اصطلاحاً :

فقد عرفه ابن خلدون على انه ((إن فن التاريخ لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، تبنى فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال . . وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق))[١] .

أما المنهج العلمي :

فهو الطريقة المنظمة التي تعتمد على الفرضيات وعلى طائفة من القواعد والقوانين التي تنظم سير البحث للوصول إلى نتائج أو حلول ملائمة لموضوع البحث والكشف عن الحقيقة المجهولة أو البرهنة عليها للآخرين[٢] .

لذا يمكن القول: إن التاريخ هو ماضي الإنسان، وهو السفر الذي يحمل بين دفتيه التطورات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، التي مرت بها البشرية[٣] .

ويرى قسطنطين زريق: التاريخ: هو دراسة الماضي، والتاريخ هو الماضي ذاته، يتناول التاريخ كموضوع الإنسان من حيث هو إنسان، وليس مجرد كائن حي ينمو ويتطور ويموت. فهو الوحيد الذي يدرك معنى الزمن والوحيد (ذو التاريخ) الذي يصنع التاريخ ويصنعه .

اما تناول الحوادث الطبيعية فليس الا لمعرفة تأثيرها على الإنسان، والاهتمام بدراسة التاريخ له سببين نفسي وعقلي .

فالنفسي: لاعتبار ان الإنسان يرى نفسه امتداد لبني جنسه وبالتالي حرصه على التعرف على ماضي البشرية .

اما العقلي: فيتميز به بعض الناس للاستفادة من التجارب الماضية[٤] .

وعلماء التربية يعرفون المنهج التاريخي في جمال التربية بقولهم: ((وهو المنهج الذي يعتمد على الظواهر التاريخية بعد وقوعها ويستفيد بالماضي في فهم وتفسير الحاضر))[٥] .

وقد ورد عند ابن منظور منهج طريق نهج: بين واضح، ومنهج الطريق: وضحه، والمناهج كالمنهج، وانهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً. والمنهاج: الطريق الواضح، ونهجت الطريق: أبنته وأوضحته[٦] .

وباتت كلمة المنهج من المفردات المتداولة بكثرة في ميادين البحث والعمل العلمي في العلوم الإنسانية والتطبيقية، والمنهج ينبع من الخصائص

---

(١) ابو زيد عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ط ١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١ .

(٢) د. هالة طليمات، مفهوم مناهج البحث العلمي، القاهرة (د. ت) ص ١ وما بعدها .

(٣) عادل حسن غنيم وجمال محمود حجر: منهج البحث التاريخي، الاسكندرية، ١٩٩٥، ص ٢١ وما بعدها .

(٤) قسطنطين زريق: نحن والتاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٧٩، ص ٢ .

(٥) احمد بدر: مناهج البحث في علم المكتبات والمعلومات الرياض، دار المريخ، ١٩٨٨، ص ١١٩ .

(٦) لسان العرب ٢ / ٣٨٣ (باب نهج) .

الحضارية للأمة لان التنوع الثقافي وتعدد الهويات في الأمم يفرض تعدد المناهج وتفاوت خطوات المنهج وان كان بينهما ما هو مشترك وله صفة التعميم، وفي هذا كما سنرى كان للفكر والعلوم عند العرب والمسلمين منهج له .

اما العلم ومناهجه فيهدفان الوصول إلى الحكمة التي وردت في قواعده كما للآخرين مناهجهم النص القرآني كأساس للدعوة. قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾[١] .

الحكمة في اللغة :

((عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم))[٢] ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم والحكم: العلم والفقه والقضاء بالعدل، فالحكمة اعم من العلم، لان الحكمة سلوك مع علم يمارسه العالم ويكون فيه متميزاً، ويحتكم إليه الآخرون، وهو الذي يفصل بين الناس، ويطلق الأحكام المتصفة بالعدل، ويدلل في قوله وفعله بأنه واثق الخطى ومحط ثقة الآخرين .

والحكمة في التعريفات: ((علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية ...))[٣] .

وقيل هي: العلم مع العمل، وقيل نفس الأمر بحسب طاقة الأنساب، وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة، وقيل: الحكمة هي ((الكلام المعقول المصون عن الحشو، وقيل: هي وضع الشيء في موضعه[٤] .

والحكمة: هي العلم، والفصل بين الحلال والحرام، وهي العلم والعمل وعدم الاكتفاء بالنظريات فقط، والحكمة: حق في مواجهة كل باطل، وهي جدية واتزان بلا حشو أو لغو، وهي مسلك عدل يكون فيه كل أمر وفق ما هو مناسب لهذا تكون الحكمة غاية، ولها مكانة في الإنسان الفرد وفي المجتمع، لا تدانيها فيها غاية أو مطلب آخر، وفي النص القرآني إعلاء لشأن الحكمة فقد قال الله تعالى: ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[٥] .

وان العلم له مكانة سامية في الإسلام، وأهميته تنبع من موقع العقل، فالعقل أكرم ما خلق الله تعالى وأعطيت نعمة العقل للمخلوق المستخلف في الأرض، والأكرم بين المخلوقات: الإنسان .

لقد أيد الله تعالى كل نبي من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه بمعجزة أو بمعجزات لتؤكد صدق نبوته، وكانت هذه المعجزات تتميز بالفرادة فمن خصائص المعجزة أنها لا تتكرر، وكانت تتحدى بني البشر فهم يشككون بالنبوة في أمور عينية محسوسة.

---

(١) سورة النحل / الآية ١٢٥ .

(٢) ابن منظور: لسان العرب، ١٢ / ١٤٠ (باب حكم) .

(٣) الجرجاني: علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) التعريفات، تحقيق: ابراهيم الايباري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٢، ص ٨٨ .

(٤) المصدر السابق، ص ٩١ .

(٥) سورة البقرة / الآية ٢٦٩ .

اما الإسلام فقد كانت معجزة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام الكبرى القرآن كتاب الله سبحانه وتعالى، والقرآن معجزة عقلية حاضرة على مر الدهور، وقد كان التحدي بها للإنس أو الجن، وهما الثقلان، والمكلفان بان يأتوا بمثله أو بشيء منه، جاء في الآية الكريمة قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) .

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢) .

وفي آية كريمة ثالثة قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٣) .

تبين هذه الآيات الكريمات الإعجاز والمعجزة القرآنية التي تتوجه إلى العقل وهذا يقود إلى التعرف على موقع العقل، والعقل ثمرة عمله العلم والفكر .

٢- خصائص المنهج التاريخي :

للمنهج التاريخي خصائص، يمتاز بها عن غيره من مناهج العلوم الأخرى أهمها :

أ- ((الاستدلال بما هو معروف عما هو مجهول)) :

ان هذه الخاصية هي التي تكشف عن الجوانب الغامضة في التاريخ خاصة عند تعذر الحصول على وثائق صادقة. وقد اعتمد كولانج على هذه النقطة بقوله: ((يمكن استقراء حالة أو حالات مشابهة كمعيار يستند إليه لتفسير ما هو مجهول))(٤) .

ب- دراسة العصر الذي بدأت فيه الظاهرة كنقطة للبداية في دراسة الموضوع التاريخي وهذا يعني تتبع الجذور الأولى وتصعيد البحث إلى أقصى ما تمكنه المعلومات التاريخية بالاعتماد على الوثائق والمستندات والسجلات التاريخية وغيرها من مصادر الدراسات التاريخية(٥) .

جـ- ان بحث ودراسة المادة التاريخية موضوع البحث، لا يعني الوقوف عند تسلسلها التاريخي، وانما تفسير أحداث التاريخ ومادته، تفسيراً دقيقاً وعميقاً في نفس الوقت للوقوف على العوامل التي أثرت عليها سلباً وايجاباً بما يقدم تعليلاً علمياً للظاهرة(٦) .

د- التحرر التام من كل ما يمكن ان يضع الباحث في موقف التحيز، ذلك ان الفساد التاريخي يرجع في كثير من حالات إلى أهواء المؤرخين وميولهم، لذا فان الاستناد إلى ما هو موثوق به من تفاصيل يعد امراً مطلوباً بمعنى ان تكون المعلومات المستخدمة في البحث محلاً للثقة وكذلك الأمر بالنسبة لمصادرها وحذف كل ما يشك الباحث في ان له طابعاً ذاتياً

(١) سورة البقرة / الآية ٢٣ .
(٢) سورة يونس / الآية ٣٨ .
(٣) سورة الاسراء / الآية ٨٨ .
(٤) كولانج، فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكر خليل، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦١، ص ٢ .
(٥) عمار بوحوش، محمد محمود الديبات: مناهج البحث العلمي: الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط ١، ٢٠٠١، ص ٢ .
(٦) المرجع السابق، ص ٢ وما بعدها .

نتيجة لتفسيرات المؤرخين وبنفس المستوى ((إيراد وجهات النظر المعارضة لوجهة نظره))[١] .

هـ- استخدام أسلوب واحد في تحليل مواقف، وأحداث، وشواهد المادة التاريخية[٢] .

و- يعتمد على ملاحظات الباحث وملاحظات الآخرون[٣] .

ز- لا يقف عند مجرد الوصف بل يحلل ويفسر[٤] .

ح- عامل الزمن، حيث تتم دراسة المجتمع في فترة زمنية معينة[٥] .

ط- أكثر شمولاً وعمقاً لأنه دراسة للماضي والحاضر[٦] .

٣- أهمية المنهج التاريخي :

ان أهمية البحث التاريخي يكمن بالمقارنة بين مرحلتين زمنيتين وجمع التراث العلمي العربي والعالمي ومعرفة الجذور التاريخية ونظرياتها وصلاتها بالتطور السياسي ودراسة التطور السياسي ومسح سلوك الأفراد فضلاً عن تأثير سلوك المجتمعات، ودراسة المراحل العمرية، ودراسة الإنسان وتطوره، ودراسة تطور المراحل العمرية وعلاقتها بنظريات العلوم ودراسة تاريخ الحياة والأفكار والشخصيات أو المؤسسات[٧] .

ان المهمة التاريخية تستعيد في الذهن وبطريقة عقلية ما جرت عليه أحداث التاريخ أي ان تجارب الماضي كما حدثت بنوع من التحليل ولكنه ليس تخيلاً مبدعاً بل يجب ان يقوم على أساس ما خلفته أحداث الماضي من آثار ذلك، ان ما كان لا يمكن استعادته يمكن ان يستعاد نظرياً بنوع من التركيب ابتداء مما خلفته من وقائع يعمل الذهن فيها احياناً والخيال المبدع احياناً أخرى[٨]. ونستطيع ان نلخص أهمية البحث التاريخي بالنقاط الآتية :

١- مقارنة بين مرحلة وأخرى في جوانب التعليم ومقارنة النظم التربوية[٩] .

٢- دراسة النشاط للعلوم المختلفة من الناحية التاريخية[١٠] .

---

(١) ارتست كاسيرو: دراسات في المعرفة التاريخية، ترجمة: احمد حمدي محمود، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧١، ص ٣ .

(٢) المرجع السابق، ص ٣ .

(٣) عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص ٥ .

(٤) عمار بوحوش، محمد محمود الديبات، مناهج البحث العلمي، ص ٣ .

(٥) صلاح الدين مصطفى الفوال، منهجية العلوم الاجتماعية، القاهرة، عالم الكتب، ط ٥، (د. ت)، ص ٥ .

(٦) محي الدين مختار: الاتجاهات النظرية والتطبيقية في منهجية العلوم الاجتماعية، منشورات جامعة باتنة، (د. ت)، ١ / ٥ .

(٧) احمد بدر، اصول البحث العلمي ومناهجه، الكويت وكالة المطبوعات ١٩٧٨، ص ٣٩ . ق البحث العلمي في التاريخ والاثار، الموصل، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٠، ص ١٢ .

(٨) طه باقر، عبد العزيز حسين: طرق البحث العلمي في التاريخ والاثار، الموصل، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٠، ص ١٢ .

(٩) احسان محمد الحسن: الاسس العلمية للمنهج الاجتماعي، بيروت، دار الطليعة، ط ٢، ١٩٦٨، ص ٢٤٩ .

(١٠) احمد جمال ظاهر: البحث العلمي الحديث،

٣- جمع التراث التربوي والاجتماعي وتطوراته[١] .

٤- معرفة الجذور التاريخية ونظرياتها وصلاتها بالتطور السياسي[٢] .

٥- مسح سلوك الأفراد وعلاقته بنظريات هذه العلوم .

٦- تأثير سلوك المجتمعات وعلاقته بالمحيط[٣] .

٧- دراسة التطور التاريخي لحركات الإنسان .

٨- دراسة تطور الألعاب وعلاقته بنظريات العلوم .

٩- دراسة تطور الفئات العمرية للإنسان[٤] .

١٠- دراسة تاريخ حياة أو الأفكار أو الشخصيات أو المؤسسات .

١١- توفر الدراسات التاريخية التربوية، وإدراك الصلة بين التربية وبيئتها .

١٢- إظهار العيوب والأخطاء للأحداث الماضية كي تكون بمثابة دروس نستفيد منها في تحقيق التقدم والرقي[٥] .

والهدف من المنهج التاريخي ما يلي :

١- التأكد من صحة حوادث الماضي بوسائل علمية .

٢- الكشف عن أسباب الظاهرة بموضوعية على ضوء ارتباطها بما قبلها أو بما عاصرها من حوادث .

٣- ربط الظاهرة التاريخية بالظواهر الأخرى الموالية لها والمتفاعلة معها[٦] .

٤- إمكانية التنبؤ بالمستقبل من خلال دراستنا للماضي .

٥- التعرف على نشأته الظاهرة[٧] .

***

عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٨٣، ص ٢٤٩ وما بعدها .

(١) بدوي عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٢٥٧٠ .

(٢) ذوقان عبيدات واخرون، البحث العلمي مفهومه واساليبه، عمان، شركة المطابع النموذجية، ١٩٨٢، ١٤٥، ١٤٦ .

(٣) جابر عبد الحميد، احمد منير، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، القاهرة، مطبعة دار التأليف، ١٩٧٩، ص ٢٦٤ .

(٤) المرجع السابق، ص ٢٦٤ .

(٥) ديوبولد فان دالين: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة: محمد نبيل واخرين، القاهرة، مطابع سجل العرب، ط ٢، ١٩٧٧، ص ٧٩ .

(٦) خالد حامد: منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والانسانية، الجزائر، جسور، ٢٠٠٣، ط ١، ص٣.

(٧) سامية محمد جابر واخرون: البحث العلمي الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣، د ط، ص ٥ و ٦ .

المبحث الثاني

التفسير الإسلامي للتاريخ

٢- مسوغات اسلمة التاريخ :

يرفض منظر اسلمة علم التاريخ المنهج الغربي المادي المتعلق بمعالجة الواقعة التاريخية، والمسألة الحضارية ويحتجون بأنه منهج علماني، يؤمن بضرورة إقصاء العناصر الغيبية من مراجع المعرفة التاريخية ومصادرها، ويبني فرضياته على التجربة والعقل، واحياناً على قيم غيبية تستمد شرعيتها من التراث الإنساني نفسه .

فهذا الإقصاء من وجهة نظرهم بقصد المنهج الغربي عن دوره الفاعل في إعطاء قراءات موضوعية لحركة التاريخ البشري العام، ويقوم هذا الرفض على عدد من المسوغات .

ان غياب البعد الروحي الغيبي في مناهج البحث التاريخي في الغرب قد أفضى إلى قصور واضح في فهم العلاقة الجدلية بين الله عز وجل والإنسان والطبيعة، ولازم هذا القصور نقص طبيعي في فهم حيثيات الوقائع التاريخية، وتفسيرها موضوعياً، ويعد أصحاب التفسير الإسلامي للتاريخ هذا القصور، الذي يستمد حجيته من منطلقات إيديولوجية عيباً جوهرياً في منهج البحث التاريخي الغربي وليس مجرد عيب جزئي فقط في تفسير الواقعة التاريخية أو تصويرها، و من ناحية أخرى يرفض أصحاب التفسير الإسلامي للتاريخ مبدأ الحتميات (الحتمية التاريخية والحتمية المادية والحتمية الاقتصادية) باعتباره مبدأ يهدف إلى تحقير الإنسان الذي كرمه الله سبحانه وتعالى، وفضله على كثير من خلقه في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [١] .

وايضاً يوجد داخل منظومة التفسير الإسلامي للتاريخ اهتمام خاص بإعادة كتابة تاريخ الأمة الإسلامية، وفق ضوابط معرفية تهدف إلى تنقية المدونات التاريخية من الشوائب والإسرائيليات العالقة بها، وفي الوقت نفسه تسعى إلى تأسيس منهج تأصيلي لإعادة قراءة هذه المدونات في ضوء جملة من الموجهات القرآنية والسنن الكونية الفاعلة والمتفاعلة مع مفردات الفعل التاريخي البشري بإعادة كتابة التاريخ الإسلامي بهذه الكيفية تستمد مشروعيتها من المسوغات التالية[٢] :

اولاً: يجمع منظر اسلمة علم التاريخ على ان مدونات التاريخ الإسلامي العربية القديمة تعج بكثير من القضايا الأخلاقية التي تتعارض في كلياتها مع بعض ثوابت الدين الإسلامي وتراث المسلمين الحضاري، فمثلاً سيد قطب يصف هذه المدونات

(١) سورة الاسراء / الآية ٧٠. ينظر: احمد ابراهيم ابو شوك، التفسير الاسلامي للتاريخ، مجلة اسلامية المعرفة (د. ت)، ص١ و ٢ .

(٢) احمد ابراهيم ابو شوك: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٨ .

التاريخية بأنها: ((تثار من الحوادث والوقائع والحكايات والأحاديث والنتف والملح والخرافات والأساطير والروايات المتقاربة والأقوال المتعارضة على كل حال)) لذا فلا يجوز تسميتها تاريخاً[١]. وأيده في ذلك عدد من المفكرين.

فان هذا القصور حسب منطلقات اسلمة علم التاريخ، يعزي إلى سببين رئيسيين:

احدهما: يتربط بالواقع السياسي الذي كتبت فيه أهم المدونات التاريخية، أي بمعنى آخر ان معظم كتابات هذه المدونات التاريخية قد تأثروا في كتاباتهم بهاجس الخوف من أو محاباة السلطة السياسية، ومن ثم فان معظم رواياتهم التي نقلوها إلينا عن تاريخ خصوم السلطة السياسية قد اتسمت بنوع من فجور الرواة أو الإخباريين الذين نقل عنهم الرواة.

وعلى سبيل المثال قد انعكست إسقاطات ذلك الواقع العباسي على تاريخ الأمويين الذي دون في العهد العباسي، علماً بان العباسيين كانوا في خصومة سياسية مع الأمويين، ألقت بظلالها السلبية على تاريخ الخصوم، الذي دون في تلك الحقبة.

وثانيها: يرتبط بطول الفترة الزمنية الفاصلة بين تاريخ حدوث كثير من الوقائع التاريخية وتاريخ تدوينها، فلا شك ان هذا الفاصل الزمني قد خلف نوعاً من الاضطراب والارتباك في كثير من الروايات التأريخية التي تأثرت بالخلط والتحريف والنسيان.

وبذلك يصبح لزاماً على الباحثين في مجال الدراسات التأريخية الإسلامية ان يناقشوا هذه الروايات ومثيلاتها، مناقشة منطقية جريئة قائمة على التمحيص والاستقراء لكي يستبعدوا غثها ويستفيدوا من ثمينها في إعادة كتابة مفردات تاريخ الأمة الإسلامية[٢].

ثانياً: ان منظري الاسلمة قد شككوا أيضا في مصداقية كثير من الأطروحات والدراسات الحديثة التي تناولت تاريخ الأمة الإسلامية، وعلى سبيل الحصر ما كتبه المستشرقون وبعض المسلمين الذين تأثروا بمناهجهم الاستشراقية[٣].

ثالثاً: ان هذه الانتقادات المرتبطة بموثوقية مدونات تاريخ الأمة الإسلامية ومناهج البحث الاستشراقي قد دفعت سيد قطب، بصفته واحد من رواد أسلمة التاريخ إلى القول: (بان تعاد كتابة التاريخ الإسلامي لكي تعطي كل أسرارها وإشعاعاتها، وتنكشف بكل عناصرها ومقوماتها)[٤]. وانطلاقاً من هذه الرؤية التجددية لإعادة كتابة تاريخ الأمة الإسلامية، يدعو منظرّوا الاسلمة إلى تبني الموجات البحثية التالية:

---

(١) سيد قطب، (ت ١٣٨٧ هـ) في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، ط ٧، ص ٨.

(٢) احمد ابراهيم ابو شوك: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٨ وما بعدها.

(٣) احمد ابراهيم ابو شوك: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٩.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن: ص ٩.

١- تقويم مدونات تاريخ الأمة الإسلامية وفق موجهات منهج الجرح والتعديل، الذي يمثل المرحلة الأولى في فحص الوثيقة التاريخية من خلال النظر في شخصية الراوي أو الناقل قبل الالتفات إلى معنى النص التاريخي، الذي تحمله الوثيقة .

ويقضي هذا المنهج ان يكون الراوي أو الناقل عدلاً ضابطاً لما يرويه مع توفر شروط الإسلام والبلوغ والعقل والتيقظ والحفظ والإدراك السليم .

٢- التثبت من صحة المرويات الواردة في المدونات التاريخية وذلك وفق منهج توثيقي يستأنس بموجهات القرآن والسنة، والسنن الكونية التي تكون في حالة تناغم مع العقل التاريخي ومتحققه من خلال التاريخ الذي يثبت ان سنة الله لا تتبدل[١]، كما قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[٢] .

٣- ان يتحلى المؤرخ الذي يتعامل مع مدونات التاريخ الأمة الإسلامية بنوع من الإخلاص والتجرد والخبرة بفقه اللغة العربية، والعلم الصحيح بالإسلام وعلومه الضرورية والإلهام الواسع بتاريخ العرب في الجاهلية، ومعرفة الحالة التي كانت عليها الأمم الأخرى قبل دخولها في دين الله افواجاً[٣] .

اما في ما يخص المنهج الذي يجب ان يوظف في إعادة كتابة تاريخ الأمة الإسلامية يقترح منظروا الاسلمة الموجهات الفكرية التالية :

١- إقرار المرتكزات الفكرية العامة المتعلقة بأطروحات اسلمة علم التاريخ واعتبارها موجهات كلية للمنهج البحثي الخاص بإعادة كتابة تاريخ الأمة الإسلامية .

٢- ان يوثق تاريخ الأمة الإسلامية باعتبارها تاريخاً يهدف إلى تحقيق المشيئة الإلهية من خلال الفاعلية المتاحة للإنسان في هذا الكون بقدر من الله وبحسب سنن معينة يجري الله بها قدره في الحياة الدنيا علماً بأنه تاريخ مع شرائع الذات الإلهية المطلقة والسنن الكونية المسخرة لخدمة البشرية، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾[٤] .

٣- يجب ان تعاد كتابة تاريخ الأمة الإسلامية في إطار مفهوم خلافة الإنسان لله سبحانه وتعالى وتتبلور الماهية الوظيفية لهذا المفهوم في ((إقامة مجتمع إنساني سليم)) وإشادة حضارة إنسانية شاملة ليكون الإنسان بذلك مظهراً لعدالة الله تعالى وحكمه في الأرض، ولكن لا بالقصر ولا بالإجبار بل بالتعليم والاختبار .

(١) محمد بن حامل لسلمي: منهج كتابة التاريخ الاسلامي، القاهرة، (د. ت)، ص ٦٤ .

(٢) سورة الاحزاب / الآية ٦٢ .

(٣) احمد ابراهيم ابو شوك: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٩ .

(٤) سورة الانعام / الآية ٦ .

٤- يجب أيضا وضع نظام تحقيق جديد لدراسة تاريخ الأمة الإسلامية ويشترط في هذا التحقيق ان يتوافق في كلياته مع تحقيق التاريخ العالمي العام، وان يحتفظ بخصوصياته في حالة مناقشة القضايا الإسلامية ذات الصيغة المحلية أو الإقليمية[١] .

٣- المرتكزات الفكرية لأسلمة التاريخ :

من ابرز المرتكزات الفكرية لأسلمة التاريخ ما يأتي :

اولاً: بقاء التفكير على الدليل والحجة :

فالتفكير الصحيح هو ما كان قائماً على قوة البرهان والحجة حتى يكون مقبولاً تطمئن إليه النفوس والعقول، وقد أقام القرآن جميع الحقائق التي دعا إليها على البرهان إشارة إلى وجوب إتباع هذا المسلك في البحث عن حقائق الكون والطبيعة أو حقائق النفس، أو حقائق الشريعة والعقيدة، كبيان حجة الوحدانية في الإلهية في قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[٢] .

وكالحجة في نفي النبوة والشرك في قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾[٣] .

وكالحجة على إمكانية البعث في قوله تعالى: لا ﴿ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ ﴾[٤] .

ان سلوك هذا الضابط مانع من القول بغير علم أو دليل، الذي هو منهي عنه بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾[٥] .

يقول سيد قطب - رحمه الله - في معنى الآية: ((وهذه الكلمات القليلة تقيم منهجاً كاملاً للقلب والعقل، يشمل المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثاً ويضيف إليه استقامة القلب ومراقبة الله، ميزة الإسلام عن المناهج العقلية الجافة فالتثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق وحتى استقامة القلب والعقل على هذا المنهج

لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة، ولم يبق مجال للظن والشبهة في عالم الحكم والقضاء والتعامل، ولم يبق مجال للأحكام السطحية الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم . . .[٦] .

ثانياً: اجتناب الخرص والظن :

والمراد ألا يكون التفكير مبنياً على الخرص، لكونه لا يوصل إلى المعارف الصحيحة وحقائق الأشياء .

(والخرص: هو الظن الناشئ عن وجدان في النفس، مستند إلى تقريب، ولا يستند إلى دليل

(١) احمد ابراهيم ابو شوك: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ١٠ .
(٢) سورة الانبياء / الآية ٢٢ .
(٣) سورة المؤمنون / الآية ٩١ .
(٤) سورة الاسراء / الآية ٥٠- ٥١ .
(٥) سورة الاسراء / الآية ٣٦ .
(٦) سيد قطب: في ظلال القرآن، ١٤ / ٢٢٢٧ .

يشترك العقلاء فيه وهو يرادف الحزر والتخمين)[١] قال تعالى: ﴿ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ [٣].

فالخرص: التفكير الناشئ عن غير علم، بل هو قائم على مجرد الظن الذي يعرض صاحبه للخطأ وقد ذهب العلماء إلى ان الخرص في أصول الاعتقاد مذموم لكونها لا تبنى الا على اليقين بخلاف الخرص في المعاملات وفي الفروع العملية فانها غير مذمومة ولا تذم الا إذا أدت إلى المخاطرة والقمار[٤].

اما الظن فهو الاعتقاد غير الجازم ويطلق على العلم غير الجازم إذا كانت متعلقاً بعالم الغيب كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [٥].

أي يعتقدون اعتقاداً جازماً لا شك فيه، لكن كثر إطلاق الظن في القرآن الكريم على الاعتقاد الباطل الذي منشؤه التفكير الضعيف الذي لا يستند إلى دليل صحيح كقوله تعالى: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ [٦].

فاقتران الظن بالهوى إمارة على وقوع الخطأ ولزومه في الغالب للذين لا يسترشدون في التفكير بالهوى والبيان للواضحات، ومع ذلك فان الظن منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم.

فالمحمود: ما كان في فروع الشريعة وجزيئاتها، فلا يشترط في الوصول إلى حقائق الفقه والأحكام العملية في بابي العبادات والمعاملات، القطع واليقين. بل يكفي غلبة الظن عند المجتهد للفكر، إذا كان محصلاً على أدوات التفكير الاجتهادي.

اما الذم المذموم: فهو ما كان في أصول الدين والشريعة من حقائق الاعتقاد، فلا يتحقق التصدي بها الا على جهة القطع واليقين[٧]، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا ﴾ [٨].

ففيهما إشارة إلى ان الظن لا يجعل صاحبه غنياً بعلم اليقين في الحق، ذلك لان الحق هو الأمر الثابت الذي لا ريب في ثبوته وتحققه والمظنون وان كان راجحاً عند صاحبه فهو عرضة للشك والاضطراب، وقد اخذ العلماء من هذه الآية العلم اليقيني واجب في الاعتقادات، وان إيمان المقلد غير صحيح، ويدخل في جملة الاعتقادات المعلوم من الدين بالضرورة كالفرائض والواجبات القطعية التي ثبتت بأدلة يقينية، وكذا المحرمات

(١) محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ط، ١٩٨٤، ٨ / ٢٨، ص ٣٥٣.
(٢) سورة الانعام / الآية ١١٦.
(٣) سورة الزخرف / الآية ٢٠.
(٤) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ٢٦ / ٣٤٣.
(٥) سورة البقرة / من الآية ٤٦.
(٦) سورة النجم / من الآية ٢٣.
(٧) ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م)، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ١٩٩٧، ١٠٩.
(٨) سورة يونس / الآية ٣٦.

والمحظورات القطعية[١].

ثالثاً: اجتناب الهوى :

من ثوابت التفكير في التطور الإسلامي وهو ان يكون غرضه الوصول إلى الحق سواء في المجال الديني أو الدنيوي وكذا الانتفاع بنتائج الفكر ومحصلته من العلوم والمعارف، ومن هنا كان المجتهد مأجوراً سواء أصاب أو اخطأ ففي الحديث: ((من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله اجر))[٢].

ففيه حث على التفكير الصائب الراشد الموصل إلى الحقائق، من غير نظر إلى النتائج تشجيعاً للمفكرين في بذل غاية الجهد والوسع إذا سلمت النوايا والقصود، فالتفكير المبني على إتباع الهوى لا يرجى منه نفع ولا خير، لأنه غالباً ما يؤدي إلى سوء الفهم والتصور والإدراك لذا حذر القرآن من سلوكه، فقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٣].

فقد عللت الآية تفكير هؤلاء بسوء قصدهم، وهو ابتغاء الفتنة، حيث أولوا النصوص بما يوافق أهواءهم[٤]، لا بما دلت عليه من حقائق، ومما يؤكد ان إتباع الهوى مناف للتفكير السوي السليم قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[٥].

فسبب وقوعهم في الظلم إتباعهم للهوى الذي حجب عن عقولهم العلم والفهم، ولو فكروا في هذه الحال ما توصلوا للحق لغلبة الهوى، ذلك لان صاحبه يتأثر بالعواطف الذاتية والرغبات الشخصية، والميول النفسية، فيخطئ في تقصي الحقيقة، ويصل بتفكيره إلى نتائج خاطئة[٦].

فالهوى مضاد للحق والحقيقة ولو مشى الحق وراء الهوى، وبنيت حقائق التفكير العلمي عليه لأدى ذلك إلى فساد العالم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾[٧].

وقد ثبت بالتجارب والعادات أن المصالح الدينية والدنيوية لا تنال من إتباع الهوى، والجري وراء الأغراض، لما ينشأ عنها من التهارج والتقاتل والهلاك الذي هو مضاد لتلك المصالح[٨].

---

(١) محمد رشيد رضا (ت ٣٥٣ هـ)، تفسير القرآن الحكيم، بيروت، لبنان، دار المعرفة (د. ت)، ط ٢، ٩ / ٤٠٩.

(٢) اخرجه البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ضبط: محمد فؤاد عبد الباقي ومجيب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، دار الفكر، (د. ت) عن عمرو بن العاص، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب اجر الحاكم اذا اجتهد رقم ٦٩١٦، ج ٦ / ٢٦٧٦.

(٣) سورة آل عمران / الآية ٧.

(٤) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ٣ / ١٦١.

(٥) سورة الروم / الآية ٢٩.

(٦) محسن عبد المجيد، تجديد الفكر الاسلامي، فرجينيا بالولايات المتحدة، طبع المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط ١٩٩٥، ص ٤٣.

(٧) سورة المؤمنون / الآية ٧١.

(٨) الشاطبي: ابو اسحاق ابراهيم بن موسى اللحمي

رابعاً: الجمع بين هداية الوحي والنقل :

تختلف موضوعات المعرفة اختلافاً كثيراً ومن ثم تختلف الطرق التي يعتمد عليها التفكير للوصول إلى حقائقها ويمكن حصر هذه الطرق في ثلاثة أقسام :

القسم الأول: ما لا يعلم الا عن طريق الحواس والتجربة والعقل :

ويشمل دائرة العلوم المادية والكونية والطبيعية التي يتوصل إليها عن طريق العلم المحسوس أو العقل المجرد كالرياضيات والفيزياء والجغرافية والتاريخ ... وتمتاز بكونها عقلية بحتة، لذا أطلق القرآن النظر العقلي فيها لاكتشاف أسرارها وفوائدها ومنافعها، قال تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [١] .

وقوله تعالى: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [٢] .

وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴾ [٣] .

وفي هذا القسم تظهر إبداعات العقل وقدراته الخلاقة في تطويع الكون لمصالح الخلق والعالم وهو ما عبر عنه القرآن بعالم الشهادة، وهو العالم المحسوس المعقول المقابل للعالم الغيبي لذا تنوعت أساليب القرآن في استدعاء العقول للتفكير في هذا العالم ترغيباً في كشف أسراره ومنافعه كعبارات (أو لم يروا - أو لم تر - انظروا - أفلم ينظروا - أفلا ينظرون - أو لم يتفكروا)[٤] .

القسم الثاني : ما لا يعلم الا عن طريق الوحي :

هذا القسم لا يؤخذ الا من الأدلة السمعية فلا دخل للعقل فيه الا في استنباطه وفهم معانيه وإدراك أحكامه الكلية والجزئية ويشمل العقيدة والعبادات وأصول الحلال والحرام ... فمسائل الاعتقاد من عالم الغيب الذي لا تدركه الحواس ولا يقع تحت التجربة ولا يدرك العقل حقيقته ولا تفاصيله، مثل هل هناك حياة وراء هذه الحياة؟ ما هو مصير الإنسان بعد الموت ؟ وهل هناك مخلوقات غير ما نراه في عالمنا المحسوس ؟ ما هي مقاييس الخير والشر في الوجود ؟ وما هو السلوك الامثل في حياة الانسان . . . الخ

فهذه المسائل وغيرها لا تعرف الا عن طريق النبوة او الوحي الالهي[٥]. قال تعالى: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[٦] .

القسم الثالث : ما يشترك في علمه الوحي :

ويشمل كل المجالات التي اباح الله للعقل النظر

الغرناطي (ت ٧٩٠ هـ) الموافقات في اصول الشريعة، تحقيق: عبد الله وراز، دار المعرفة، ط ٢، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٥ م، ٢ / ١٧٠ .

(١) سورة الذاريات / الآية ٢١ .

(٢) سورة الطارق / الآية ٥ .

(٣) سورة الغاشية / الآية ١٧ - ٢٠ .

(٤) محمد المبارك: الاسلام، نظام العقيدة والعبادات، بيروت، لبنان، دار الفكر، ط، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ص ٨٣ - ٨٤ .

(٥) محمد مبارك: الاسلام، ص ٨٤ .

(٦) سورة الشورى / الآية ٢١. وانظر: محمد رشيد رضا، وتفسير القرآن الحكيم، ص ٢ / ٤٤ .

واستخراج الاحكام من النصوص سواء فيما ورد فيه نص او فيما لم يرد، فمجال العقل في المنصوص هو معرفة درجاتها من وجوب وندب وكرامة وحرمة واباحة وكذا معرفة عوارضها من عموم وخصوص واطلاق وتقييد وازالة التعارض بينها عن طريق الجمع والتوفيق كالتخصيص والتقييد والتأويل والترجيح بينها عند استحالة الجمع، اما مجال العقل فيما لم يرد فيه نص، فباستعمال القياس والاستحسان، والاستصلاح والعرف وغيرها من انواع التفكير والنظر الاجتهادي القائم على ادراك العلل والاسباب والمقاصد الشرعية، وهنا تظهر اهمية استخدام الفكر في معرفة معاني النصوص ومراميها لان في التشريع مفاهيم كلية واحكام وقواعد عامة تستهدف مقاصد ومصالح انسانية مادية ومعنوية لا يمكن الوصول اليها الا بفهم عقلي متميز، خبير باموال الانسان ومطالبه ومصالحه، كما ان التشريع ليس نصوصاً واحكام معزولة عن حياة الناس وواقعهم، بل هو نظام عملي، لذا كان في حاجة الى الفكر كاداة للربط بين الشريعة والحياة[١].

٣- خصائص المنهج الاسلامي :

ان من ابرز خصائص المنهج الاسلامي في تفسير التاريخ ما يلي :

١- المرونة وعدم التأزم المذهبي .

يتميز الموقف الاسلامي من التاريخ بمرونته وبعده عن التوتر او التأزم المذهبي الذي يسعى الى قولبة الواقع التاريخية، وصبها في هيكلة المسبق واستبعاد او تزييف كل ما لا ينسجم وهذا الهيكل، الامر الذي يوقع التفاسير الوضعية في كثير من الاخطاء والانحرافات، هذا الى جانب ان الفكر الوضعي لا بد وان يتأثر بطبيعة العصر الذي يعيش سلباً وايجاباً وبدرجة او اخرى وهذا (التأثير) المحتوم ينعكس ولا ريب على معطياته الفكرية، فالتفسير الاسلامي الذي يستمد من رؤية الله التي تعلو على الزمان والمكان وتتجاوز مواصفات العصر النسبية، فانه ينظر بانفتاح تام الى الاحداث[٢] .

٢- الواقعية :

ان رؤية التفسير الاسلامي للاحداث رؤية واقعية شاملة في امتداداتها الزمنية الماضية والحاضرة والمستقبلية . . . فيما كانت عليه، وما عليه، وما سوف تكون عليه. فان التفسير الإسلامي واقعي ولا يتأثر بقيمة ومثاليات ممكنة الوقوع اساساً في تفسيره للواقع[٣] .

٣- الشمولية :

فالاسلام منهج حياة للفرد والمجتمع من النشأة الى المآل فهو شامل للحياة من بدايتها لنهايتها، وهو شامل ما يحدث من علاقات وتفاعلات شمولية تتنوع وتعدد واحصاء وحكم وتشريع قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي

(١) محمد فتحي الدريني: خصائص التشريع في السياسة والحكم، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ص ٤٧٤ .

(٢) عماد الدين خليل: التفسير الاسلامي للتاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩١، ط ٥، ص ٨ .

(٣) المرجع السابق، ص ٩ .

لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [١] .

وهذا الشمول الذي نعنيه هو تداخل الدوائر والمجالات الاربع (العقيدة - العبادة - الاخلاق - المعاملات) وما يتبعها من قواعد واحكام تداخلاً يقيم حياة متكاملة على منهج الإسلام[٢] .

٤- موافقة الفطرة :

منهج الاسلام يوافق الفطرة الانسانية كون الخالق والمشرع واحد سبحانه الذي عبر عن ذلك بقوله جل وعلا: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [٣] .

وهناك الكثير من هذه الخصائص، لا يسعنا المقام لشرحها، بل نكتفي بعدها.

٥- الوسيطة والاعتدال .

٦- التدرج .

٧- الحرص على المصلحة .

٨- رفع الحرج والعنت والمشقة وتيسير حياة البشر .

٩- السماح بحرية الفكر والاجتهاد في الجانب الاجرائي .

١٠- احترام الحكمة والمشترك الإنساني[٤] .

١١- الناموسية[٥] .

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا واعاننا على اخراج هذا البحث في الصورة التي هو عليها، ولقد اوضحت الدراسة: ضرورة الربط بين العلم والعمل حتى يؤتي ثماره ولكي يصح العمل ويستقيم السلوك وان العلم انما يتلقى لاجل العمل، وان بطلان المنهج القائم على طلب ((العلم للعلم)) و ((الفن للفن)) و ((الادب للادب)) لان تلقي العلم في الاسلام محكوم بضوابط شرعية في منهجه واهدافه ووسائله كما انه مرتبط بالغاية الاساسية من خلق الانسان ووظيفته في هذا الكون، ومن خلال ذلك توصل الباحث إلى ما يلي :

١- وجوب الالتزام بالمنهج الاسلامي في الدراسة التاريخية .

٢- بيان المصادر التي يستمد منها المنهج الاسلامي لكتابة التاريخ .

٣- بيان خصائص المنهج الاسلامي في كتابة التاريخ .

٤- بيان كيفية التدوين والمراحل التي مر بها تدوين التاريخ الاسلامي مع الرد على المزاعم الباطلة بان العلم الاسلامي قد جرى نقله رواية شفوية دون تدوين طوال القرن الاول الهجري وحتى منتصف القرن الثاني وايضاح ان التدوين غير التآليف .

٥- ان السيرة النبوية قد لقيت عناية فائقة في التدوين والتأليف وفي النقد والتحقيق على يد

---

(١) سورة الانعام / الآية ١٦٢ .

(٢) علاء سعد حسن حميدة: خصائص المنهج الاسلامي، مصر، (د. ت)، ص ٢ .

(٣) سورة الملك / الآية ١٤ .

(٤) علاء سعد حسن حميدة: خصائص المنهج الاسلامي، ص ٣ - ٥ .

(٥) عماد الدين خليل: التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٩ .

علماء الحديث النبوي الشريف .

٦- عرض مناهج مجموعة من المؤرخين المسلمين .

٧- لقد شارك في تدوين اخبار التاريخ الاسلامي وروايتها مجموعة من الرواة والاخباريين والمؤرخين الضعفاء او المستهمين والمطعون في عدالتهم من اتباع الفرق الضالة .

لقد توصلت من خلال هذا البحث إلى مجموعة من القواعد المهمة التي يجب على المسلم ان يراعيها في كتابة التاريخ الاسلامي وفي تدريسه، وهي :

١- معرفة الحكم الشرعي في المخلفات والاثار الحضارية عن الامم السابقة .

٢- معرفة حق الصحابة (رضي الله عنهم) والمواقف من الفتن التي وقعت في عصرهم .

٣- التفريق بين أخطاء البشر وأحكام الإسلام .

٤- اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر .

٥- معرفة حدود الأخذ من كتب اهل الاهواء والزندقة .

٦- معرفة ضوابط الأخذ من كتب غير المسلمين .

٧- الالتزام بالعقيدة الاسلامية واحكامها والتركيز في الدراسة على الاهداف والغايات .

٨- ابراز دور الانبياء عليهم السلام واثر الوحي الذي جاؤوا به في تاريخ البشرية .

٩- تحري استعمال المصطلحات الاسلامية، الى غير ذلك من القواعد الموضحة في مواضعها .

هذا جهد المقل فإن أصبت فبتوفيق الله تعالى، وان اخطأت فمن نفسي واستغفرالله تعالى عليه .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

***

المصادر والمراجع

احسان محمد حسن .
١- الاسس العلمية للمنهج الاجتماعي، بيروت، دار الطليعة، ط ٢، ١٩٦٨ م .
احمد ابراهيم ابو شوك .
٢- التفسير الاسلامي للتاريخ، مجلة اسلامية المعرفة، دار المعرفة، بيروت، (د. ت) .
احمد بدير .
٣- مناهج البحث في علم المكتبات والمعلومات، الرياض، دار المريخ، ١٩٨٨ م .
٤- اصول البحث العلمي ومناهجه، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٨ م .
احمد جمال ظاهر .
٥- البحث العلمي الحديث، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٨٣ م .
ارنست كاسيرو
٦- دراسات في المعرفة التاريخية، ترجمة: احمد حمدي محمود، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧١ م .
البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) .
٧- صحيح البخاري، ضبط: محمد فؤاد عبد الباقي ومجيب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، مطبعة دار التأليف، ١٩٧٩ .
بدوي عبد الرحمن
٨- مناهج البحث العلمي، القاهرة، ١٩٦٥ .
جابر عبد الحميد، احمد منير .
٩- مناهج البحث في التربية وعلم النفس، القاهرة، مطبعة دار التأليف، ١٩٧٩ م .
الجرجاني، علي بن محمد (ت ٨١٦ هـ) .
١٠- التعريفات، تحقيق: ابراهيم الابياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٩٢ .
- حسن عثمان .
١١- منهج البحث التاريخي، القاهرة، دار المعارف، ط ٤، ١٩٨٠ .
خالد حامد .
١٢- منهجية البحث في العلوم الاجتماعية والانسانية، الجزائر، جسور، ط ١، ٢٠٠٣ .
ديوبولد فان دلين .
١٣- مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة: محمد نبيل وآخرين، القاهرة، مطابع سجل العرب، ١٩٧٧ .
ذوقان عبيدات واخرون .
١٤- البحث العلمي مفهومه واساليبه، عمان، شركة المطابع النموذجية، ١٩٨٢ م .
سامية محمد جابر واخرون .
١٥- البحث العلمي الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٣ .
سامية محمد جابر .
١٦- منهجيات البحث الاجتماعي والاعلامي، القاهرة، دار المعرفة، ٢٠٠٠ م
سيد قطب (ت ١٣٨٧ هـ)
١٧- في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ٧،

١٣٩٨ هـ - ١٦٧٨ م .
الشاطبي، ابو اسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (ت ٧٩٠ هـ) .
١٨- الموافقات في اصول الشريعة، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
صلاح الدين مصطفى الفوال .
١٩- منهجية العلوم الاجتماعية، القاهرة، عالم الكتب، ط ٥، (د. ت) .
طه باقر عبد العزيز حسين .
٢٠- طرق البحث العلمي في التاريخ والاثار، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٠ م .
عادل حسن غنيم وجمال محمود حجر .
٢١- منهج البحث التاريخي، الاسكندرية، ١٩٩٥ .
عبد الرحمن بن خلدون، ابو زيد عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) .
٢٢- المقدمة (مقدمة ابن خلدون)، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٦٠ .
علاء سعد حسن حميدة .
٢٣- خصائص المنهج الاسلامي، مصر (د. ت) .
عماد الدين خليل .
٢٤- التفسير الاسلامي للتاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٥، ١٩٩١ م .
عمار ابو حوش: محمد محمود الديبات .
٢٥- مناهج البحث العلمي، الجزائر، ديوان، المطبوعات الجامعية، ط ١، ٢٠٠١ م .
ابو الفتوح فضالة .
٢٦- المحاسبة، القاهرة، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢ .
قسطنطين زريق .
٢٧- نحن والتاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٧٩ م .
كولنجوود
٢٨- فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكير خليل، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦١ م .
محسن عبد المجيد .
٢٩- تجديد الفكر الاسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة، طبع المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ط، ١٩٩٥ .
محمد المبارك .
٣٠- الاسلام، نظام العقيدة والعبادة، بيروت، لبنان، دار الفكر، ط ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
محمد الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) .
٣١- تفسير التحرير والتنوير، دار سحنونة للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧ م .
محمد جلاء ادريس .
٣٢- مناهج البحث العالمي نظرياً وتطبيقياً، الجامعة الاسلامية العالمية، ١٩٩٨ م .
محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٣ هـ) .
٣٣- تفسير القرآن الحكيم، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ط ٢، (د. ت) .

محمد عبد الحميد .
٣٤- البحث العلمي في الدراسات الاعلامية، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٠ م .
محمد فتحي الدريني .
٣٥- خصائص التشريع في السياسة والحكم، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١ هـ) .
٣٦- لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير واخرون، القاهرة، دار المعارف، (د. ت) .
محي الدين مختار .
٣٧- الاتجاهات النظرية والتطبيقية في منهجية العلوم الاجتماعية، منشورات جامعة باتنة (د. ت) .
هالة طليمات .
٣٨- مفهوم مناهج البحث العلمي، القاهرة، (د. ت) .

***